شرح رسالة:

قاعدة في الصبر

لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

قَاعِدَةٌ فِي الصَّبْرِ

مِنْ لقاءات العشر "حجّ 1440 للهجرة النّبويّة الشّريفة"

تأليف شيخ الإسلام
أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْحَلِيمِ بْنِ تَيْمِيَّةَ الْحَرَّانِيَّ رحمه الله

تعليق أ. أناهيد بنت عيد السميري

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نبدأ بسم الله، في لقاءنا الثّاني من "لقاءات العشر"، ونقرأ هذه الرّسالة المهمّة، وهي: رسالة لابن تيمية بعنوان: **"قاعدة في الصّبر"**.

الله أكبر الله أكبر لا إله إلّا الله

الله أكبر الله أكبر ولله الحمد

وهذه الرّسالة من الرّسائل المفيدة في الحياة عمومًا، وفي أوقات العبادات خصوصًا.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ، وصلَّى الله على سيدنا محمد، وآله وصحبه وسلم. قال الشّيخ الإمام العالم شيخ الإسلام، مفتي الأنام، تقيّ الدّين، أبو العبّاس أحمد ابن تيميّة رحمه الله: (جعل اللهُ -سبحانه وتعالى- لعباده المؤمنين بكلِّ منزلة خيرًا منه، فهم دائمًا في نعمةٍ من ربِّهم، أصابَهم ما يُحِبُّون أو ما يكرهون، وجعل أقضيته وأقداره -الَّتي يقضيها لهم ويُقدِّرها عليهم- متاجِرَ يَربحون بها عليه، وطُرُقًا يصلون منها إليه). الله أكبر، كلّ منزلة ينزلها الإنسان في أقدار الله؛ جعلها الله خيرًا منه سبحانه وتعالى، كما يقول ابن تيمية: **(فهم دائمًا في نعمةٍ)** مِن ربّ العالمين، كيف؟ قال: سواء **(أصابَهم ما يُحِبُّون أو ما يكرهون)** لأنّ ما يحبّون وما يكرهون له أجره العظيم عند ربّ العالمين، كما أنّ له الحكمة العظيمة سبحانه وتعالى.

يقول: **(كما ثبت في (الصحيح)، عن إمامهم ومتبوعهم -الَّذي إذا دُعي يوم القيامة كلُّ أناسٍ بإمامهم دُعُوا به- صلوات الله وسلامه عليه)** صلّى الله عليه وسلّم **أنَّه قال:** ((عَجَبًا لِأَمْرِ الـمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ عَجَبٌ، مَا يَقْضِي اللهُ لَهُ قَضَاءٍ إِلَّا كَانَ خَيْرًا لَهُ

إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ))[1]، والرّواية المشهورة عند مسلم: ((عَجَبًا لِأَمْرِ الـمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ)).

ما الدّليل على أنّ أحوال المؤمنين كلّها خير؟ الدّليل هذا الحديث مِن النّبيّ الكريم، وقد وصف ابن تيمية النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- قال: (**الَّذي إذا دُعي يوم القيامة كلُّ أناسٍ بإمامهم دُعُوا به**) أي أنّ إمامك في هذا الشّأن أيّها المؤمن **هو:** الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- كما أنّه إمامك في كلّ شأن، إمامك في شأن الصّبر، إمامك في شأن الشّكر، النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم.

قال: (**فهذا الحديثُ يَعمُّ جميع أَقضيتِه لعبده المؤمن، وأنَّها خير له إذا صبر على مكروهها وشكرَ لمحبوبها، بل هذا داخلٌ في مسمّى الإيمَان كما قال بعض السلف: "الإيمَان نِصْفَانِ: نِصْفٌ صَبْرٌ، وَنِصْفٌ شُكْرٌ"، لقوله تعالى: {إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ}**[2]) فجميع الأقضية الّتي يقضيها الرّبّ -سبحانه وتعالى- على عبده؛ جميعها خير، سواء كانت في نظر الإنسان مصيبة أو في نظر الإنسان نعمة، فجميعها خير لهذا الإنسان. متى تكون خيرًا؟ (**إذا صبر على مكروهها وشكرَ لمحبوبها**)، ويزيد على ذلك فيقول: (**بل هذا داخلٌ في مسمّى الإيمَان**). واستشهد بقول السّلف أنّ: (**الإيمَان نِصْفَانِ**) وبالآية الّتي فيها دلالة على أنّ المؤمن الّذي يستفيد من الآيات؛ إنّما ينظر للآيات نظر الصّابر الشّاكر. **أي:** مَن يستفيد مِن الآيات؟ المؤمن. والمؤمن في هذه الآية الكريمة أصبح اسمه: صابر شاكر؛ بل {صَبَّار□ شَكُور□}.

(**وإذا اعتبر العبدُ الدِّينَ كلَّه رآه يَرجِعُ بجملته إلى الصّبر والشّكر؛ وذلك لأنَّ الصَّبر ثلاثة أقسام**) هنا ينبّهنا ابن تيمية رحمه الله أنّ النّظرة المجملة للدّين ستوصلنا أنّ الدّين يرجع بجملته إلى الصّبر والشّكر، ثمّ يشرح هذا الأمر، **يقول:** (**ذلك لأنَّ الصَّبر ثلاثة أقسام: صبر على الطاعة حتَّى يفعلها؛ فإنَّ العبد لا يكاد يفعل المأمور به إلَّا بعد صبرٍ ومصابرةٍ ومجاهدةٍ لعدوه الظاهر والباطن، فبحسب هذا الصَّبر**

---

[1] () أخرجه مسلم (2999) بلفظ: ((عَجَبًا لِأَمْرِ الـمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ)).

[2] () سورة إبراهيم: ٥.

يكون أداؤه للمأمورات، وفِعلُه للمستحبَّات) ولذلك نستعجب ممّن يظنّ أنّ العبادات يجب أن تكون يسيرة سهلة على نفسه، وأنّه يجب أن لا يُجاهد مع نفسه، وأنّ المجاهدة مع النّفس إشارة إلى عدم صلاح النّفس، وهذا ما هو إلّا من وسواس الشّيطان! بل نفسك مثل نفوس الخلق جميعًا؛ تحتاج من أجل أن تستقيم على الطّاعة أن تَحْمِلها على الطّاعة، وتصبر حتّى تَقْبَل منك أمرها بالطّاعات. فأوّل أنواع الصّبر: (**صبر على الطاعة حتَّى يفعلها**).

وانظروا إلى عبارته الدّقيقة: (**فإنَّ العبد لا يكاد يفعل المأمور**) أيّ مأمور أُمِر به لا يكاد يفعله (**إلَّا بعد صبرٍ**) ليس صبرًا فقط! بل (**ومصابرةٍ**) وليس فقط مُصابرة! بل أوصلها إلى حدّ المجاهدة (**لعدوه الظاهر والباطن، فبحسب هذا الصَّبر يكون أداؤه للمأمورات، وفِعلُه للمستحبَّات**).

هذا هو الاختبار في الطّاعات: الصّبر.

ثمّ يقول: (**النوع الثاني: صبرٌ عن المنهيّ عنه حتَّى لا يفعلَه؛ فإنَّ النّفس ودواعيها، وتزيين الشّيطان، وقُرناء السوء، تأمرُه بالمعصية وتُجرِّئُه عليها، فبحسب قوة صبره يكون تركه لها، قال بعض السّلف: "أعمال البِرِّ يفعلها البَرُّ والفاجر، ولا يَقْدِرُ على ترك المعاصي إلَّا صِدِّيق"**) فكما أنّنا في الصّبر على الطّاعة لابدّ أن نعرف أنّه لا يمكن القيام بالطّاعة (**إلَّا بعد صبرٍ ومصابرةٍ ومجاهدةٍ**) وبعد ذلك حدّدنا سنجاهد مَن؟ (**عدوه الظاهر والباطن**) نفوسنا، والشّيطان الّذي يجري في دمائنا، وأصحابنا، والمحيطين بنا؛ فلن نستطيع فعل المأمورات **إلّا بهذه الطّريقة:** لابدّ أن نصبر! **وإذا تصوّرت:** أنّ الأمر يكون يسيرًا وسهلًا، ولا يحتاج إلى صبر؛ فأنت قد أخطأت!

أيضًا: هناك صبر على ترك المعاصي (**صبرٌ عن المنهيّ عنه حتَّى لا يفعلَه**) وهُنا كم مشكلة عندنا؟ يقول لنا ابن تيمية رحمه الله: (**فإنَّ النّفس ودواعيها**) أوّلًا (**وتزيين الشّيطان، وقُرناء السوء**) هذه ثلاثة أمور: النّفس وما أدراك ما النّفس! والشّيطان الّذي يتسلّط على النّفس ويزيّن لها الأمور، وقرناء السّوء الّذين يعاونون هؤلاء كلّهم، ويفتحون الباب على مصراعيه للفساد والإفساد، تأمُر بالمعصية وتُجرّئ

الإنسان على المعصية؛ فالنّفس تهوّنها، والشّيطان يغلق على الإنسان التّفكير؛ وهذا معلوم! ولذلك أمرنا الله عزّ وجلّ باتّخاذ الشّيطان عدوّا؛ لأنّك لو اتّخذت الشّيطان عدوّا ستبدأ تَحْذر مِن أفكاره، وتَحْذر مِن تزيينه، ومِن تسلّطه؛ ثمّ تحذر مِن أعوانه، الّذين هم قرناء السّوء، فما يكون في نفسك جراءة على المعصية، أو على الأقلّ يكون في نفسك تمييز أنّ هذا الوسواس الّذي يأتيك إنّما هو مِن قول الشّيطان، وفِعْل الشّيطان، وأنّ قرناء السّوء هؤلاء يدفعونك إلى ما لا يُرضي الرّحمن.

وانظر إلى قول بعض السّلف، كما ينقل ابن تيمية في هذه الرّسالة: **"رسالة قاعدة في الصّبر"**: (**"أعمال البِرِّ يفعلها البَرُّ والفاجر، ولا يَقْدِرُ على ترك المعاصي إلّا صِدِّيق"**) أي أنه يمكن بدواعٍ كثيرة ولحظات سكون كثيرة أن يعمل الإنسان الطّاعة؛ مع أنّها كما تبيّن لنا تحتاج إلى صبر، ومصابرة، ومجاهدة، لكن ترك المعاصي هذا يحتاج إلى صدّيق، صَدّق بالله، وباليوم الآخر، صَدّق بلقاء الله، صَدّق بأثر المعاصي عليه، صَدّق بأثر المعاصي على قلبه، على مجتمعه؛ فهذا يُتصوّر أن تكون حالته: ترك المعاصي.

هذه الرّسالة الّتي هي: **"قاعدة في الصّبر"**، الّتي نقرأها سويّا لابن تيمية، يريد بها أن يبيّن أنّ الدّين فيه: صبر، وشكر. والآن نحن نقاشنا حول: **الصّبر**؛ ونقرأ الجزء الخاصّ بذلك:

(**النوع الثالث**) مِن الصّبر: (**الصَّبر على ما يصيبه بغير اختياره من المصائب**) أي الصّبر على الأقدار (**وهي نوعان: نوع لا اختيار للخلق فيه، كالأمراض وغيرها من المصائب السماوية، فهذه يَسْهُل الصَّبر فيها؛ لأنَّ العبد يشهدُ فيها قضاء الله وقدره**) فهو يعرف بأنّه لا علاقة لأحد بهذا. (**وإنَّه لا مدخل للنَّاس فيها، فيصبر إمَّا اضطرارًا؛ وإمَّا اختيارًا**) إمّا اضطرارًا، ما عنده القدرة على دفع المقدور، (**وإمَّا اختيارًا**) بأن يكون صبره لله، راضٍ بالله. (**فإن فتح الله على قلبه باب الفكرة في فوائدها**) في فوائد هذه المصيبة، مِن مرض، مِن فقد محبوب (**وما في حشوها من النعم والألطاف انتقل مِن الصَّبر عليها إلى الشكر لها والرضا بها**) ينتقل مِن الصّبر

على المصيبة، بعد التّفكّر ورؤية أنّ مَنْع كذا، ومَنْع كذا، وحرمانه مِن كذا، أو مرضه في كذا، أنّ كثيرًا من النعم كانت فيه؛ ينتقل حينها مِن باب الصّبر إلى باب الشّكر والرّضا بها (**فانقلبت حينئذٍ في حقه نعمةً**) فهذا ماذا يحتاج؟ يحتاج كما قال: فتْح باب الفكرة؛ أي **أنّه يفكّر** كيف في حشو هذه المصيبة نِعَمًا وألطافًا؟ فينتقل هو مِن الصّبر وقتها إلى الشّكر والرّضا.

يقول: (**فلا يزالُ هِجّيري[3] قلبه ولسانه فيها**) أي دأب وعادة، فلا يزال دأبه، لا يزال هذا هجّيره، أي ما يولع بذِكْره. ما هو دأبه الّذي لازال يفعله؟ أن يقول:(((رَبِّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ))[4]، **وهذا يَقْوى ويضعف بحسب قوة محبة العبد لله وضعفها، بل هذا يجده أحدنا في الشاهد، كما قال الشاعر يخاطب محبوبًا له ناله ببعض ما يَكْره: لَئِنْ سَاءَنِي أنْ نِلْتَنِي بِمَسَاءَةٍ *** لَقَدْ سَرَّنِي أَنِّي خَطَرْتُ بِبَالِكَ**[5])يقصد ابن تيمية مِن هذا الشّاهد: أنّ النّاس هذه هي حالتهم في عالم الشّهادة؛ أنّ الضرّ مِن محبوبهم الّذي يحتاج إلى صبر ينقلب فيصبح شكرًا، ويصبح سببًا للمسرّة.

فهذا النّوع الثّالث من أنواع الصّبر، لكن النّوع الثّالث فيه نوعان: نوع بالقدر يأتي، ونوع هو: (**النوع الثاني: ما يحصل له بفعل النَّاس في مالِهِ أو عرضِهِ أو نفسِهِ**) فهناك شيء ينزل مِن السّماء قدرًا: كالمرض، كفقد المحبوب، كخسارة المال، وأقصد خسارة المال عَرَضًا، بأن يحصل أقدارًا، ليست على يد النّاس. أمّا النّوع الثّاني فهو ما يحصل له بفعل النّاس: في ماله، أو عرضه، أو نفسه. (**فهذا النوع يَصعُبُ الصَّبر عليه جدًّا؛ لأنَّ النفس تستشعِرُ المؤذيَ لها، وهي تكره الغَلَبَة**) لا تحبّ أن تهان، لا تحبّ أن يغلبها أحد، يقهرها أحد؛ لا تحبّ النّفس هذا الشّيء أبدًا! (**فتطلبُ الانتقام**) هذه هي الطّبيعة الإنسانيّة (**فلا يَصبِر على هذا النوع إلَّا الأنبياء والصِّدِّيقون. وكان نبينا صلّى الله عليه وسلّم إذا أُوذي يقول: ((يَرْحَمُ اللهُ مُوْسَى! لَقَدْ**

---

[3] () **الهِجّيري**: الدأب والعادة. **يقال**: ما يزال هذا هجيره: ما يولع بذكره. "المعجم الوسيط".

[4] () أخرجه أبو داود (1522) وصححه الألباني.

[5] () قافية البيت كاف مكسورة.

أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ))[6]) يذكّر نفسه -صلّى الله عليه وسلّم- بأخيه موسى، وكيف أنّه مَرّ عليه مِن أمور فيها أذيّة مِن بني إسرائيل، وصبر؛ لكي يصبر صلّى الله عليه وسلّم. (**وأخبر عن نبيٍّ من الأنبياء أنَّه ضربَه قومُه فجعل يقول: ((اللَّهُمَّ اَغْفِرْ لِقَومِي؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ))**[7]) وكُلّ هذا مِن خبر النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- لأجل أن يحصل منّا التّأسّي. أي أنه حصل مِن النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- التّأسّي بإخوانه الأنبياء، ومطلوب مِنّا أيضا أن يحصل مِنّا التّأسّي. (**وقد روي عنه -صلّى الله عليه وسلّم- أنَّه جرى له هذا مع قومه، فجعل يقول مثل ذلك، فجمع في هذا ثلاثة أمور: العفو عنهم**) عن قومه الّذين آذوه. (**والاستغفار لهم. والاعتذار عنهم بأنَّهم لا يعلمون**) لأنّه مادام قال: ((اللَّهُمَّ اَغْفِرْ لِقَومِي)) فهو قد عفى عنهم، واستغفر لهم ((فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)) يعتذر عنهم بأنّهم لا يعلمون، (**وهذا النوع من الصَّبر عاقبته النَّصرُ والعز والسُّرور والأمنُ، والقوة في ذاتِ الله، وزيادة محبةِ الله ومحبة النَّاس له، وزيادة العلم**) -الله أكبر- أمور عظيمة؛ ومِن أجل أن لا يفوتنا هذا الخير، فلنتذكّر أنّ الصّبر ثلاثة أنواع:

النّوع الأوّل: صبر على طاعة الله.

النّوع الثّاني: وصبر عن معصية الله.

النّوع الثّالث: وصبر على الأقدار، وهي نوعان:

⇐ نوع تجري بأمر الله، مِن السّماء كما عبّر عنه ابن تيمية، وغيرها قال: (**من مصائب السّماوات**) وقال أنّ هذا يَسْهُل عليه الصّبر.

⇐ نوع آخر مِن الأقدار تحصل بفعل النّاس، هذا فيه مِن الصّعوبة ما فيه! لماذا؟ لأنّ الإنسان - كما ذَكَر ابن تيمية- لا يستشعر إلّا المؤذي له! لا يستشعر أنّه بأمر الله؛ والنّفس تكره الغلبة، تكره أن يغلبها أحد، أو أن يتعدّى عليها أحد، فتطلب الانتقام. مَن يصبر على هذا؟ الأنبياء والصّدّيقون.

---

[6]) أخرجه البخاري (6059).

[7]) أخرجه البخاري (3477).

وأتى ابن تيمية بنموذج للنّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- وأنّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- يتأسّى بالأنبياء قبله، ثمّ أخبر أنّ هذا النّوع من الصّبر عاقبته شأن عظيم! -الله أكبر- النّصر، العزّ، السّرور، الأمن، القوّة في ذات الله، هذه خمسة أمور، وزيادة محبّة الله، ومحبّة النّاس له، وزيادة العلم. كلّ واحدة مِن هذه الأمور لوحدها يعمل الإنسان لها أعمالًا لكي يصل إليها.

والصّبر هنا له شروطه: فمتى نصبر على النّاس صبرًا بمثل هذا الحال؟ لابدّ أن يكون على أمر لا يحصل فيه ذهاب بالأنفس، ولا يحصل فيه ضرر على غيرنا، أي أنك تصبر على أذيّة النّاس بحيث أنّهم لا يذهبون بنفسك؛ والنّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- لـمّا عاد مِن الطّائف، قد استجار لِـمَنْعِ الكفّار مِن أذيّته. وعثمان -رضي الله عنه- هاجر، وأبو بكر -رضي الله عنه- كاد أن يهاجر. وأيضًا لا تصبر على شيء أنت مسؤول فيه عن غيرك، فيلحقك أنت الضّرر ويلحق غيرك الضّرر، كالمرأة تصبر على أمور تسبّب أذيّة لأبنائها وضررا لهم، أو تصبر على أمور تسبّب أذيّة فيها لجيرانك، أذيّة فيها للنّاس حولك، لا! وإنّما تصبر على شيء في نفسك، وكلٌّ يصبر على بلاء يخصّه، فأهمّ شيء أنّ صبرك لا يؤدّي إلى أذيّة الغير؛ لأنّه يحصل دائمًا إشكال هنا في فهم معنى الصّبر، لكن -إن شاء الله- يكون هذا الأمر واضحًا.

يقول: (**ولهذا قال الله تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ}**[8]) هذا الصّبر الّذي فيه عبادة وطاعة لربّ العالمين جعلهم أئمّة. (**فبالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدين. فإذا انضاف إلى هذا الصَّبر قوة اليقين والإيمان، تَرَقّى العبد في درجات السعادة بفضل الله تعالى**) يصبر وعنده قوّة يقين بما عند ربّ العالمين.

قال: (**وذلك فضل الله يؤتيه مَن يشاء والله ذو الفضل العظيم**) اليقين والصّبر أمور تُطلب، ويعبد الإنسان ربّه ويدعو ربّه حتّى يصل إلى هذا الفضل، وهذا فضل الله! فضل الله أن يهب النّاس اليقين، فضل الله أن يهبهم الصّبر.

---

[8]() سورة السجدة: ٢٤.

يقول ابن تيمية: (**ولهذا قال الله تعالى: {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (34) وَمَا يُلَقَّاهَا}**) قال: (**يعني: الأعمال الصالحة مثل العفو والصفح {إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ}**)[9] أي (**نصيب وافر**) يقول ابن تيمية: (**وهي الجنة**) النّصيب الوافر هي الجنّة. هذا النّوع مِن الصّبر يحتاج إلى يقين، وإيمان، وإلى دعاء؛ مِن أجل أن يتفضّل الله -عزّ وجلّ- عليك بهذا الصّبر، وقدرة على حبس النّفس؛ ومِن ثَمَّ يكون وراءه الخير العميم، الّذي يُوصِل النّاس إلى ربّ العالمين، أيسر ما يكون.

يقول: (**ويعين العبد على هذا الصَّبر عدة أشياء**) يريد النّوع الأخير الّذي يكون للنّاس دخل فيه، فاصبر على الأقدار الّتي جرت على يد النّاس؛ فهذا يؤذيك، وهذا يفعل لك ما يُضايقك؛ وأنت مؤمن، ولابد أن تعرف بأنّ المؤمن لابدّ أن يبتلى بمن يؤذيه. وقد ذُكر عن بعض السّلف، وهو سَلَمَةَ بْنِ كُهَيْلٍ قَالَ: "لَوْ كَانَ الْمُؤْمِنُ عَلَى قَصَبَةٍ فِي الْبَحْرِ لَقَيَّضَ اللَّهُ لَهُ مَنْ يُؤْذِيهِ"[10] سيلاقي أحدًا يؤذيه و "قَيَّضَ اللَّهُ لَهُ" تقييضًا، بمعنى: أنّه لابدّ أن يُبتلى به؛ فإذَا أنت فهمت هذا الأمر، فكُن على حذر، وخُذ الأسباب المعينة الّتي تجعلك تصبر.

قال: (**ويعين العبد على هذا الصَّبر عدة أشياء: أحدها: أن يَشْهَدَ أنَّ الله - سبحانه وتعالى- خالقُ أفعالِ العباد: حركاتِهم وسكناتِهم وإراداتهم، فما شاءَ الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فلا يتحرك في العالم العُلْوِيِّ والسَّفليِّ ذرَّةٌ إلَّا بإذنه ومشيئته**) ففي هذا الموقف يُعتبر العبد آلة (**فانظر إلى الَّذي سلَّطَهم عليك ولا تَنْظُر إلى فعلهم بك، تَسْتَرِحْ من الهمِّ والغَمِّ**) طبعا هنا لا يُقصد مذهب الجبريّة أبدا؛ إنّما يُقصد أنّ هذا تصوّر تتصوّره: أنّ هذا ما تسلّط عليك إلّا بأمر الله، ولا استطاع أن يأتيك إلّا بأمر الله. وليس مذهب الجبريّة، لأنّنا نحن نوجب العقوبات على مَن اعتدى على الأنفس وعلى الأموال؛ إنّما يُقصد أن تعْرِف أنّ الله هو مَن سلّطه عليك؛ لأجل أن تزداد صبرًا، كما قرأنا في كلام السّلف الماضي.

---

[9] () سورة فصلت ٣٤_35.

[10] () مصنّف بن أبي شيبة (34594).

(الثاني: أن يَشْهَدَ ذُنُوبه، وأنَّ الله إنما سَلَّطهم عليه بذنبه، كما قال تعالى: {وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ}[11]. فإذا شَهِدَ العبد أن جميع ما يناله مِن المكروه فسببُه ذنوبه، اشتغل بالتوبة والاستغفار مِن الذنوب -الَّتي سلطهم عليه- عن ذمهم ولومهم والوقيعة فيهم) وعلى كلّ حال فالتّعميم هنا ليس على بابه، ليس جميع ما ينال العبد مِن مكروه سببه الذّنب؛ لأنّنا لو فكّرنا في تسلّط النّاس على الأنبياء؛ سنجد أنّ الأنبياء وقع عليهم هذا الأمر اختبارًا مِن الله، وليس مِن باب ذنوبهم. فجميع هنا مِن باب التّكثير أو مِن باب التّغليب، وليس مِن باب إدخال كلّ أنواع التّسليط {وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ}[12] - آمنّا بالله – هذا على غالب ذنوبك.

يقول ابن تيمية: (**وإذا رأيتَ العبدَ يقع في الناس إذا آذَوْه ولا يَرجع إلى نفسِه باللوم والاستغفار، فاعلمْ أن مصيبتَه مصيبةٌ حقيقية. وإذا تاب واستغفر، وقال: هذا بذنوبي، صارت في حقه نعمةً. قال علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- كلمةً من جواهر الكلام: "لا يَرْجُوَنَّ عبدٌ إلَّا ربه، ولا يَخَافَنَّ عبدٌ إلَّا ذنبَه"**) وهذه كلمة مِن جواهر الكلام. (**ورُوي عنه وعن غيره: "ما نزل بلاءٌ إلَّا بذنبٍ، ولا رُفِع إلَّا بتوبة"**) فإذَا بدأنا بالمشهد الأوّل وهو أن يشهد أنّ الله -سبحانه وتعالى- خالق أفعال العباد، وأنّ الله يبتليك بهؤلاء النّاس، إذَا شهِدنا هذا المشهد **سنقول:** أنّ هناك ذنوبًا، الله يكفّرها بهؤلاء، ونحن أهل للذّنوب، وهناك تسليط مِن بعض النّاس على بعض النّاس: اختبارًا، وامتحانًا، ورفعة للمنزلة؛ وربّما أحيانا تهييئًا لمنزلة أعلى، أو لمكانة أعلى.

وفي هذا أذكر لكم قصّة مختصرة: كانت هناك معلّمة تدرّس المرحلة المتوسّطة والثّانويّة، وكانت في نفس الوقت مشرفة اجتماعيّة -وهذا اسم عندنا لمن تهتمّ بمشاكل الطّالبات وترعاهم مِن هذه الجهة- **الشّاهد:** أنّها ابتليت بابتلاءات عظيمة من الطّالبات، وآذوها كثيرًا في التّدريس، وفي برنامج الإشراف الاجتماعي، وبقيت في

---

[11] () سورة الشورى: ٣٠.

[12] () سورة الشورى: ٣٠.

هذا ثلاث سنوات، وهي امرأة كبيرة في السّنّ لكن ليست ذات زوج، ثمّ بعد ثلاث سنوات رُزقت زوجًا ذِي أبناء، فكانت الثّلاث سنوات الماضية والأذيّة الّتي حصلت -إن شاء الله يقبلها الله كفّارة للذّنوب لها- لكنّها كانت في نفس الوقت نعمة عليها؛ لأنّها تهيّأت تهيّؤًا تامّا لمشاكل أولئك؛ لأنّ الّذي تزوّجته كان له أبناء وبنات في نفس السّنّ الّذي عاملته في المدرسة.

فهذا أمر نشهده لله عزّ وجلّ: أنّ هناك حكمة بالغة في كون أنّ ما نُبتلى به أيضًا يهيّئنا لما نستقبل من شؤون.

الأمر **(الثالث: أن يَشْهَدَ العبدُ حُسْنَ الثواب الذي وعده الله لمن عَفَا وصَبَر)** فلأجل أن نصبر كما ينبغي ونصل للحالة الحسنة، نشهد حسن الثّواب. **(يَشْهَدَ العبدُ)** أي يريد ابن تيمية منّا أن تكون هذه الأمور ظاهرة أمام أعيننا، واضحة لنا. **(كما قال تعالى: { وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ }**[13]) ماذا وراء العفو والصفح؟ وراؤه أجور من ربّ العالمين.

(ولمَّا كان النَّاس عند مقابلة الأذى ثلاثة أقسام: ظالم يأخذ فوق حقه، ومقتصد يأخذ بقدر حقِّه، ومحسنٌ يعفو ويترك حقَّه -ذَكَرَ الأقسام الثلاثة في هذه الآية؛ فأولها للمقتصدين) {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا}، مقتصد، ماذا فعل؟ أخذ حقّه، يأخذ بقدر حقه. **(ووسطها للسابقين)** {فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى ٱللَّهِ} **(وآخرها للظالمين)** {إِنَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ}.

فما المطلوب منك حتى ينقلب في حقّك هذا الضّرّ إلى نعمة؟ ما الّذي يساعدك على الصّبر؟

أوّلًا: أن تشهد أنّ الله خالق أفعال العباد، أي أنّهم ابتلاء عليك، فانظر إلى الّذي سلّطهم عليك، ولا تنظر إلى فعلهم بك؛ تستريح من الهمّ والغمّ.

ثانيًا: أن تشهد ذنوبك، وأنّها سبب للابتلاء.

---

[13]() سورة الشورى: ٤٠.

و نضيف على ذلك: أن نشهد حكمة الله أيضًا؛ أنّه أكيد سلّطهم علينا بحكمة.

ثالثًا: أن نشهد حسن الثّواب.

ونحن نشهد حسن الثّواب لابدّ أن نشهد كما يقول ابن تيمية: (**نداء المنادي يوم القيامة**) ما نداء المنادي؟ **تصوّره أمام عينيك:** (**"ألا لِيَقُم مَن وَجَب أجرُه على الله"**[14]) مَن وجب أجره على الله؟ الّذي {عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى ٱللَّهِ} (**فلا يقوم إلّا من عفا وأصلح**) طبعًا عفًا وأصلح، هذا هو الّذي يبيّن لنا الشّرط السّابق؛ أنّ العفو لا يكون في أيّ وضع، **وفي موقف حقيقي:** هذا شابّ قتل بسبب السّرعة قتلًا خطأ، ثمّ من السّنة القادمة قتل شابّا آخر؛ فهذا العفو في حقّه جريمة؛ لأنّ هذا لا يُصلح؛ إنّما العفو عنه سبب للإفساد! وقد تعفو عن آخر فتجده يزداد ظلمًا، ويزداد افتراء على النّاس وإيذاء؛ **فشرط العفو هنا:** {فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى ٱللَّهِ} لأنّه موضوع مهمّ جدّا؛ فيحتاج فهم معنى الإصلاح - وإن شاء الله - يتيسّر في رسالة قريبة الكلام عن بيان هذا الشّرط.

قال: (**الرابع:**) لأجل أن أستطيع أن أصبر: (**أن يَشْهَدَ أنّه إذا عَفَا وأحسنَ أورثَه ذلك من سلامةِ القلبِ لإخوانِه، ونقائِه من الغشِّ والغِل وطلبِ الانتقام. وإرادةِ الشرِّ، وحصل له من حلاوة العفو، ما يزيد لذّتَه ومنفعتَه عاجلًا وآجلًا على المنفعة الحاصلة له بالانتقام أضعافًا مضاعفة**) فحتى تساعد نفسك على ذلك؛ كما تتصوّر الأجر المرتّب وحسن الثّواب على العفو في الآخرة، اشهد بذلك في الدّنيا، وقل لنفسك: (اطلب الرّاحة لقلبك، لأجل أن لا تشغل قلبك بالتّفكير فيهم، لأجل أن يكون قلبك نقيًّا من الغشّ، والغلّ، وطلب الانتقام) وهذا شيء مهمّ جدًّا أن نطلبه في الدّنيا، وخصوصًا في هذه الأيّام المباركة، للانتفاع من هذه الأيّام المباركة لابدّ أن تكون قلوبنا خالية من الأحقاد على النّاس، ومن التّفكير فيهم، ومن الانشغال بهم، لابدّ.

قال ابن تيمية: (**ويدخل في قوله تعالى: {وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ}**[15]) أي فكِّر أنّك بهذا ستكون محبوبًا عند الله. (**فيصير محبوبًا لله، ويصير حاله حال مَن أُخِذَ منه**

---

[14] () أورده السيوطي في الدر المنثور عند قوله: {فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى ٱللَّهِ}.

[15] () سورة آل عمران: ١٣٤.

دراهم فَعُوِّضَ عنها ألوفًا من الدنانير، فحينئذٍ يفرح بما مَنَّ الله عليه أعظم فرحٍ يكون).

(**الخامس: أن يعلم أنَّه ما انتقم أحد قطُّ لنفسه إلَّا أورثه ذلك ذُلًّا يجده في نفسه**) **فإذًا فكِّر جيِّدًا:** الانتقام يورث الذّلّ! (**ذُلًّا يجده في نفسه، فإذا عَفَا أعزَّه الله. وهذا مما أخبر به الصادق المصدوق؛ حيث يقول: ((مَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا))**[16]، **فالعزُّ الحاصل له بالعفو أحبُّ إليه وأنفع له من العزِّ الحاصل له بالانتقام**) فهناك مَن يحبّ أن ينتقم، يحبّ أن يُظهر نفسه، يحبّ أن يقول: (إنّكم لن تضحكوا عليّ! أنا آخذ منكم حقّي!) أنا أريكم مَن أكون؟! وأريكم سلطتي! -سبحان الله- ولو وكّل الله سيجد أنّ الله سيريهم! لكن أنت اختر لنفسك الأصلح لك.

يقول: (**فإنَّ هذا عِزٌّ في الظاهر، وهو يورث في الباطن ذُلًّا، والعفوُ ذُلٌّ في الباطن، وهو يورث العزَّ باطنًا وظاهرًا**) العفو تظنّ أنّه ذلّ (**وهو يورث العزَّ باطنًا وظاهرًا**).

يقول: (**فإنَّ هذا عِزٌّ في الظاهر**) الّذي هو بالانتقام (**وهو يورث في الباطن ذُلًّا**). (**والعفوُ ذُلٌّ في الباطن، وهو يورث العزَّ باطنًا وظاهرًا**).

(**السادس:**) مِن الأشياء الّتي نفكّر فيها (**وهي من أعظم الفوائد: أن يَشْهَدَ أن الجزاء من جنس العمل، وأنه نفسه ظالمٌ مذنب، وأن مَن عَفَا عن الناس عَفَا الله عنه، ومَن غفر لهم غفر الله له.**) فذكّر نفسك بهذا الأمر. (**فإذا شهد أنَّ عفوه عنهم وصفحه وإحسانه مع إساءتهم إليه، سبب لأن يجزيه الله كذلك من جنس عمله؛ فيعفو عنه ويصفح ويحسن إليه على ذنوبه، ويَسْهُل عليه عفوه وصبره. ويكفي العاقل هذه الفائدة.**)

يقول: (**فإذا شهد**) الإنسان (**أنَّ عفوه**) عمّن ظلمه (**وصفحه وإحسانه مع إساءتهم إليه**) هذا سبب لأيّ شيء؟ (**لأن يجزيه الله كذلك من جنس عمله؛ فيعفو عنه ويصفح ويحسن إليه على ذنوبه**) وبهذا (**يَسْهُل عليه عفوه وصبره.**) فيقول ابن تيمية أنّ هذه

---

[16] () أخرجه مسلم (2588).

الفائدة تكفي لمن كان عاقلًا. وهو صحيح؛ لأنّه إذَا كنت بسبب عفوك عن النّاس، الله العظيم سيعفو عنك، مع علمنا عن أنفسنا، وعن ذنوبنا، وعمّا نحن مقترفون -أعاننا الله- من ذنوب، وعلى يوم القيامة وما يكون فيه، إذَا فهم الإنسان هذا؛ سيرى أنّ العفو وسيلة يسيرة للوصول إلى عفو الله في ذاك اليوم العظيم.

من الأمور أيضًا الّتي نفعلها أو نشهدها، وهذه كلّها شهادات قلبيّة، أي أنه يريد منك أن تحضّر هذه المعاني في ذهنك: (**السابع: أن يعلم أنّه إذا اشتغلت نفسه بالانتقام وطلب المقابلة ضاع عليه زمانه**) وقتك رأس مالك! (**وتفرّق عليه قلبه، وفاته من مصالحه ما لا يمكن استدراكه، ولعل هذا يكون أعظم عليه من المصيبة الّتي نالته من جهتهم**) رأس مالك الوقت، فإذَا انشغل وقتك بالتّفكير فيهم، وفي إرادة الانتقام منهم؛ ذهب وقتك؛ بينما من المفترض أن تشغل وقتك بالتّفكّر فيما خلقك الله له، والتّدبّر لكلام الله، وليس لكلامهم. متى ستفرغ للتّكبير وللتّعظيم؟! متى ستفرغ للعلم عن الله؟! متى ستفرغ للوظائف الّتي خُلقت لها؟! متى ستفرغ؟! هذا أمر بعيد المنال إذَا بقيت تفكّر في هذا! وفي هذا! **فيُقال الآن:** (**فإذا عَفَا وصَفح فرغ قلبه وجسمه لمصالحه الّتي هي أهم عنده من الانتقام**).

(**الثامن: أنّ انتقامه واستيفاءه وانتصاره لنفسه، وانتقامه لها؛ فإنّ رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- ما انتقم لنفسه قطُّ**[17]**، فإذا كان هذا خير خلق الله وأكرمهم على الله لم يكن ينتقم لنفسه، مع أنّ أذاه أذًى لله، ويتعلّق به حقوق الدين، ونفسه أشرف الأنفس، وأزكاها، وأبرُّها، وأبعدها من كلّ خُلقٍ مذمومٍ، وأحقُّها بكلّ خُلُقٍ جميلٍ، ومع هذا فلم يكن ينتقم لها. فكيف ينتقم أحدنا لنفسه الّتي هو أعلم بها وبما فيها من الشرور والعيوب؟!**) أعاننا الله على نفوسنا! النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- وهو خير الخلق، والأمر الّذي أوذي فيه إنّما هو أمر للدّين، ومع ذلك فعلوا فيه الأفاعيل -صلّى الله عليه وسلّم- وأتوا بقذارة بطن النّاقة، ووضعوه على ظهره الشّريف! تصوّر هذا الّذي يخرج بعد الولادة! تصوّره كيف تكون رائحته؟! وكيف تكون الدّماء على رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- على أشرف الخلق؟! ومن أجل ماذا؟!

---

[17]() أخرجه مسلم (2328).

اختلفوا معه في أيّ شيء؟! هل في شأن دنيا؟ لا والله! إنّما اختلفوا معه في شأن الدّين العظيم! ومع ذلك فإنّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- تنازل عن حقّه كما هو معلوم.

فيقول: كيف تنتقم وأنت الأعلم بنفسك؟! (**بل الرجل العارف لا تساوي نفسه عنده أن ينتقم لها، ولا قدر لها عنده يوجب عليه انتصاره لها**) فحين تغضب نفسه يقول لها: (ما أنتِ؟ إنّما أنا أصبر على هذا البلاء -ونحن متّفقون أنّ شرط العفو الإصلاح- إنّما أنا أصبر على هذا البلاء، والله يرفعني عنده).

الأمر (**التاسع: إن أُوذِيَ على ما فعلَه لله، أو على ما أَمَرَهُ به من طاعته ونَهَىَ عنه من معصيته، وجب عليه الصَّبر ولم يكن له الانتقام؛ فإنَّه قد أُوذِيَ في الله، فأجرُه على الله. ولهذا لما كان المجاهدون في سبيل الله ذهبت دماؤهم وأموالهم في الله لم تكن مضمونةً، فإنَّ الله اشترى منهم أنفسهم وأموالهم، فالثمن على الله لا على الخلق، فمن طلب الثمن منهم لم يكن له على الله ثمنٌ، فإنَّه من كان في الله تَلَفُه كان على الله خَلَفُه**) فأنت إذَا كنت تطيع الله، وجاء النّاس آذوك في طاعة الله؛ لا تذهب تقاتلهم وأنت تقول: (أنا لابدّ أن أنتقم منهم لأنّهم آذوني في الله)! لا! آذوك في الله فانتظر الخَلَفَ من الله. (**وإن كان قد أُوذِيَ على معصية، فليرجع باللوم على نفسه، ويكون في لومه لها شُغْلٌ عن لومه لمن آذاه**) فإذَا آذوك على معصية، أي أنك في حال معصية وحصلت الأذيّة منهم، **فقل:** (الله سلّطهم لأجل هذا الذّنب الّذي قمت به)، (**وإن كان قد أُوذِيَ على حظٍّ**) مِن الدّنيا وليس معصية، لكن مِن المباحات وفي أمر الدّنيا (**فليوطِّن نفسه على الصَّبر؛ فإنَّ نيل الحظوظ دونه أَمْرٌ أَمَرُّ من الصَّبر، فمن لم يصبر على حرِّ الهواجر، والأمطار، والثلوج، ومشقة الأسفار، ولصوص الطريق، وإلَّا فلا حاجة له في المُتاجَر. وهذا أمر معلوم عند النَّاس أنَّ من صَدَقَ في طلبِ شيء من الأشياء بَذَل من الصَّبر في تحصيله بقدر صدقه في طلبه**) هذا الأمر التّاسع الّذي نفكّر فيه.

نصنّف الأمور الّتي أوذينا فيها، ونقسمها على ثلاثة أمور:

الأمر الأوّل: إذَا أوذينا على أمر من أوامر الله، أي أنكِ الآن محجّبة، وجاء أحد آذاك مثلًا، استهزأ بك، قلّل من قيمتك، أشار لك بأنّك من الجماعة كذا، ومن الجماعة كذا، أنت متخلّفة، إلى آخر الكلمات المؤذية هذه! أو يمكن أن يتعدّى الأمر أكثر من ذلك -الله يحفظ علينا نعمه ويصرف عنّا الشّرّ وينزع من أهل الشّرّ قدرتهم على أهل الإيمان ويكفينا شرّ المنافقين في كلّ أرض وفي كلّ وضع- فمثلًا تعدّى الأمر بأنه يمكن أن يؤذي الإنسان المؤمن في بدنه، ويمكن أن ينازعه في حجابه، ويمكن أن ينازعه في رزقه، يمكن أن يمنعه من العمل مادام أنت على هيئة مؤمنة! ماذا يفعل؟ أجرك على الله، أجرك على الله، لا تطلب من النّاس أن يضمنوا لك، ولا تنتقم منهم، ولا تفكّر في ذلك.

الأمر الثّاني: وأمّا إذَا أوذي الإنسان في معصية؛ فمعلوم عليه أن يتوب.

الأمر الثّالث: وإذَا أوذي في حظّ من الحظوظ؛ فالله المستعان! الدّنيا هذه هي حالها، فالواجب عليك أن تصبر.

الأمر (**العاشر: أن يَشْهَدَ معيَّة الله معه إذا صَبَر**) ممّا يعينك على الصّبر أنّك تشهد أنّ الله معك، (**ومحبَّة الله له، ورضاه**) تشهد أنّه معك، وأنّه يحبّك، وأنّه يرضا عن فعلك، (**ومن كان الله معه دَفَع عنه من أنواعَ الأذى والمضرَّات ما لا يدفعه عنه أحدٌ من خلقه، قال الله تعالى: {وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}**[18]. **وقال: {وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ}**[19]) وهذه -في الحقيقة- من أعظم الأشياء الّتي تساعدنا على الصّبر:

- أن نعرف أنّ الله معنا.
- وأنّ الله يحبّ الصّابرين.

الأمر (**الحادي عشر: أن يَشْهَدَ أن الصَّبر نِصْفُ الإيمَان**) فكّر بأنّ هذا الصّبر الّذي تصبره بالنّسبة لإيمانك يُعتبر نصفه، فلا تستهن بالصّبر! يقول: (**فلا يُبَدِّل من إيمانه جَزاءً في نُصرةِ نفسِه، فإذا صَبَر فقد أَحرزَ إيمانَه وصانَه من النقص، والله يدفع عن**

---

[18] () سورة الأنفال: ٤٦.

[19] () سورة آل عمران: ١٤٦.

الذين آمنوا) فلو أتيت قلت: (أنا سآخذ حقّي وأنتقم!) يُقال لك: (إنّك هكذا ستخسر نصف إيمانك، فأحرز إيمانك!) أحرزه أي حافظ عليه.

(**الثاني عشر: أن يَشْهَدَ أنَّ صبره حُكمٌ منه على نفسه، وقَهرٌ لها، وغَلَبةٌ لها، فمتى كانت النفس مقهورة معه مغلوبةً، لم تطمع في استرقاقه**) فالآن أنت المنتصر، أنت صاحب القرار على نفسك؛ فلا تأمرك نفسك وتنهاك! لا! وإنّما تسكتها، وتصبّرها، وكلّما ضغطت عليك، أنت تضغط عليها؛ فهي بهذا لا تطمع أن تسترقّك وتكون أنت رقيقًا عندها؛ فلا (**تطمع في استرقاقه، وأسره، وإلقائه في المهالك. ومتى كان مطيعًا لها، سامعًا منها، مقهورًا معها لم تزل به حتى تُهلِكَه، أو تتداركه رحمةٌ من ربِّه. فلو لم يكن في الصَّبر إلَّا قهره لنفسه ولشيطانه**) أي كان كافيًا (**فحينئذٍ يَظهرُ سلطان القلب وتثبُتُ جنودُه، فيفرح ويَقوى ويطرُد العدوَّ عنه**) فالصّبر على مسائل بعيدة كمسائل الحياة، وعلى مسائل اعتدى النّاس فيها على نفسك، وأنت تقهرها وتسكتها؛ سيساعدك على أن تنتصر على نفسك في الأمور الأخرى.

وهاتان النّقطتان الأخيرتان مهمّتان جدًّا: الإحدى عشرة، والثّانية عشر، و-الحقيقة- النّقاط كلّها مهمّة! لكن حين تسمع أنّ نِصْف إيمانك الصّبر؛ فإذا ما رحت وانتقمت فإنّك ستخسر نِصْف إيمانك، وستقوى عليك نفسك، وستصبح هي الموجّهة لك، وكلّ مرّة تشغلك عن الطّاعات، وعن العبادات!

(**الثالث عشر: أن يعلم أنَّه إن صبر فاللهُ ناصره ولابُدَّ**) **فكن متأكّدًا:** أنّ الله ناصرك! (**فاللهُ وكيلُ من صَبر وأحالَ ظالمه على الله**) فقل: (أنا ليس لي لا حول ولا قوّة، لكن الله وكيلنا، وأحلّ شأني إلى الله)، (**ومن انتصر لنفسه وكلَهُ الله إلى نفسه، فكان هو الناصر لها، فأينَ مَن ناصِرُه اللهُ خير الناصرين، إلى مَن ناصِرُه نفسه أعجز الناصرين وأضعفه؟!**) ليس هناك مقارنة طبعًا! والله المستعان!

(**الرابع عشر: أنَّ صبره على مَنْ آذاه واحتماله له يُوجِبُ رجوع خَصْمِه عن ظلمه، وندامته واعتذاره، ولوم النَّاس له، فيعود بعد إيذائِه له مستحيًا منه، نادمًا على ما فعلَه، بل يصير مواليًا له، وهذا معنى قوله تعالى: {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا**

الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (34) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ}[20]) وهذا أمر واضح، فبعدما انتصرت على نفسك، وكان الله معك، وأحبّك، ونصرك، وأنت حفظت وحرزت نِصْف إيمانك؛ نأتي إلى عدوّك فنجد أنّ الله كان معك، حتّى أنّ عدوّك استحيى من أمره، وحتّى أنّ النّاس لاموا عدوّك! ونحن دائمًا نخاف من النّاس، ونقول: (إنّهم سيستهزؤون بنا!) وسيشعرون أنْ ليس لنا شخصيّة! والحقيقة خلاف ذلك: أنه سيقع اللّوم على المعتدي!

(**الخامس عشر: ربَّما كان انتقامُه ومقابلته سببًا لزيادة شرِّ خصمه، وقوة نفسه، وفكرته في أنواع الأذى التي يُوصِلُها إليه، كما هو المُشاهَد**) هناك أناس إذَا أنت انتقمت منهم؛ هم يزدادون شرّا عليك، وستبقى الحياة بذلك مجرّد معركة بينك وبين هذا الإنسان (**فإذا صبر وعَفا أَمِنَ من هذا الضرر. والعاقلُ لا يختارُ أعظم الضررين بدفع أدناهما. وكم قد جلب الانتقام والمقابلة من شرٍّ عَجَزَ صاحبُه عن دفعِه! وكم قد ذهبت نفوسٌ ورياساتٌ وأموالٌ وممالك لو عفا المظلومُ لبقيتْ عليه!**)

(**السادس عشر: أنَّ من اعتادَ الانتقام ولم يَصبِرْ لابُدَّ أن يقع في الظلم**) فالحال ستتبدّل ويصبح هو الظّالم (**فإنَّ النفس لا تَقتصِرُ على قدرِ العَدْل الواجبِ لها، لا علمًا ولا إرادةً، وربَّما عجزت عن الاقتصار على قدرِ الحق**) حتّى عِلْمًا؛ الإنسان لا يعرف حدوده، فهو اعتدى عليّ بمقدار كذا، أنا الآن آخذ حقّي بمقدار كم؟! خصوصًا أنّ النّاس عندهم في دعواهم أنّ البادي أظلم! فمن ثَمَّ المعتَدَى عليه ينتقم، ويأخذ كذلك حقّ أنّ ذاك ابتدأ الظّلم!

يقول: (**فإنَّ الغضب يخرُجُ بصاحبه إلى حدٍّ لا يَعقِلُ ما يقول وما يفعل، فبينما هو مظلوم ينتظر النَّصْرَ والعِزَّ، إذا انقلب ظالمًا يَنتظِرُ المقت والعقوبة**) مِن ربّ العالمين، وهذا شأن خطير جدًّا أنّنا نتحوّل بعد أن نكون مظلومين، أن نكون ظالمين!

---

[20]() سورة فصلت: ٣٤.

(**السابع عشر: أنَّ هذه المظلمة التي قد ظُلمها هي سببٌ إمَّا لتكفير سيِّئته، أو رفع درجته، فإذا انتقم ولم يصبر لم تكن مُكفِّرةً لسيئته، ولا رافعةً لدرجته.**) فخرج من كونها نعمة عليه!

(**الثامن عشر: أنَّ عفوه وصبره من أكبر الجُنْد له على خصمه؛ فإنَّ من صبر وعفا كان صبره وعفوه موجبًا لذُلِّ عدوِّه، وخوفه وخشيته منه ومن النَّاس؛ فإنَّ النَّاس لا يسكتون عن خصمه وإن سكت هو**) وهذا يحصل كثيرًا؛ أنّ النّاس يشهدون اعتداء أحد على عالم من العلماء، كما هو الآن أصبح سهلًا ويسيًرا أنّهم يعتدون على العلماء الرّبّانيّين؛ كان سابقًا في الصّحف، والآن أصبح المجال مفتوحا للكلّ! الله المستعان! العلماء الآن يتركونهم ما يردّون عليهم، فتجد أنّه في مثل هذه الصّفحات يأتي النّاس فيردّون على هؤلاء؛ فالنّاس لا يسكتون عن الخصم وإن سكت هو! لكن إذَا (**انتقم زال ذلك كله؛ ولهذا تجد كثيرًا من الناس إذا شتم غيره أو آذاه يُحِبُّ أن يستوفيَ منه، فإذا قابله استراح وألقَى عنه ثقلًا كان يجده**) **أيْ:** إذَا هو أخطأ فإنّه يقول له: (أنت أخطِئ عليّ) فإذَا شتمه، يقول: (أنت اشتمني لأجل أن أرتاح! لكن أن تشعر نفسي أنّني أنا الأدنى وأنت صاحب الأخلاق الحسنة!)؛ يصعب عليه!

(**التاسع عشر: أنَّه إذا عَفا عن خصمه استشعرت نفس خصمه أنَّه فوقه، وأنَّه قد ربح عليه، فلا يزال يرى نفسه دونه. وكفى بهذا فضلًا وشرفًا للعفو**) الله أكبر! الله أكبر كم للشّرع من تأديب لهذه النّفوس!

(**العشرون: أنَّه إذا عَفا وصَفَحَ كانت هذه حسنةً، فتُوَلِّدُ له حسنةً أخرى، وتلك الأخرى تُولِّدُ له أخرى، وهَلُمَّ جَرًّا، فلا تزال حسناته في مزيد؛ فإنَّ من ثواب الحسنة الحسنة، كما أنَّ من عقاب السيئة السيئة بعدها، وربَّما كان هذا سببًا لنجاته وسعادته الأبدية، فإذا انتقم وانتصر زال ذلك**).

(والأصل الثاني: الشكر، وهو العمل بطاعة الله تعالى[21]. اهـ) إن شاء الله يتيسّر لنا أن نقرأ الأصل الثّاني الّذي هو: الشّكر، لكن الآن الحمد لله انتهينا من **"قاعدة في الصّبر"**.

أسأل الله بمنّه وكرمه أن يقبل منّا هذه السّاعة وأن يجعلها في موازيننا.

سبحانك اللّهمّ وبحمدك أشهد أن لا إله إلّا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

[21]() وهذا هو النصف الثاني من الإيمان الذي ذكره في أول الكتاب ص 4.